الروايات التفسيرية و الحديثية والشعرية لتلبيات العرب قبل الإسلام وفي الإسلام

(جمع ودراسة)

م. د. ابراهيم مكحول نجم المرسومي
المديرية العامة لتربية محافظة بغداد / الرصافة1
معهد اعداد المعلمين

الملخص:

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد الصادق الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن أصحابه الأبرار والتابعين لهم وتابعيهم ، أما بعد ...

فهذا بحث متواضع في تلبيات العرب وبعض مناسك الحج ، وتاريخ موجز لبناء البيت العتيق – بيت الله الحرام – الكعبة المشرفة .

استعرضت في هذا البحث جوانب مهمة من أداء العرب قبل الإسلام لمناسك الحج، وذكرت بإيجاز كيفية بناء الكعبة المشرفة ورفع قواعدها من لدن النبي إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) ، وذكرت أقوال المفسرين والمؤرخين ، ثم بيّنت أصل التلبية اللغوي وأول من لبى، واستعنت من أجل بيان ذلك بمعجمات اللغة، والتفاسير المعتمدة والروايات الحديثية والتفسيرية الصحيحة من مصادرها ، ولقد ذكرت تلبيات قبائل العرب حسب حروف الهجاء العربية وأعطيت المصادر لكل تلبية، ولقد اتضحت بجلاء صورة التوحيد عند العرب في تلبياتهم ، فالقارئ لها يجد أنهم يقرون أن ربّ هذا البيت هو الله الواحد، ولا ينسون ذكر آلهتهم التي يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفة حسب زعمهم ، وهذا محط شركهم وعبادة الأصنام التي يتمسحون بها قبل طوافهم لبيت الله الحرام .

ذكرت تلبية الإسلام وهي تلبية التوحيد كما سماها الصحابي الجليل عبد الله بن جابر (رضي الله عنهما) ، والصحابي عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) فوحدت العرب والمسلمين، وهذا بفضل الرحمة المهداة (النبي المختار (ﷺ) الذي امر ان يقولوا لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) اللهم أتم بالصالحات أعمالنا وارحمنا ووالدينا والمسلمين عامة.

المقدمة :

فقد بعث الله إبراهيم خليل الرحمن نبياً عليه الصلاة والسلام ، فكان منطلق دعوته أول مرة في جنوب العراق وفي منطقة أور في محافظة ذي قار، ولما لم يجد مَنْ يصدقه ترك قومه الذين أرادوا احراقه فنجاه الله تعالى وهاجر الى ربّه ، قال تعالى ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[الصافات : 99-100] واستوطن الشام بعد ان رزقه الله النبوة ووهب له إسحاق ومن بعد إسحاق يعقوب ، ووهب له أيضاً إسماعيل (عليهم السلام).

وكانت دعوته التوحيد لله تعالى ونبذ عبادة الأصنام ونبذ الشرك بكل أنواعه، وامر الله نبيه إبراهيم (عليه السلام) ان يسكن إسماعيل وأمه في مكة ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ عند البيت الحرام الذي لم يكن ظاهراً في بنائه عند مجيئها إليه، ثم رزقهم الله بماء زمزم وسكنت تلك البقعة المباركة ، ونشأ إسماعيل (عليه السلام) ، ثم امر الله النبي إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ببناء البيت ورفع قواعده ، واكملاه وعلم الله إبراهيم (عليه السلام) مناسك الحج، وانتشر التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد ، واستمر الحال حتى بعد وفاة النبي إسماعيل(عليه السلام) حيناً من الدهر لم يُخلط التوحيد بشيء من الانحرافات والتشويه ، حتى غلبت خزاعة على مكة وأصبحت لها السيادة ، فأدخل بعض زعمائها عبادة الأصنام، ((وكانت مناسك الحج مما دخل عليه من الانحراف ومنها التلبية))، ((واتخذت كل قبيلة تلبية خاصة بها)).

((وقد جمعت هذه التلبيات ورتبتها وبيّنت معانيها واعتمدت كتابة هذا، كتب التفسير والحديث النبوي – المعتمدة ومعجمات اللغة العربية القديمة)) ((وذكرتها مرتبة على وفق حروف الهجاء العربية))، وذكرت بعض. وقد رتبت هذا البحث على أربعة مطالب.

المطلب الأول : بينت فيه بإيجاز مراحل بناء بيت الله تعالى ومجيء النبي إبراهيم(عليه السلام) مع زوجته وابنه إسماعيل (عليهما السلام) إلى مكة، وتوطينها في الحرم المكي قبل بنائه، وكيفية بناء البيت وأول تلبية لباها النبي إبراهيم (عليه السلام) .

المطلب الثاني : بيّنت فيه اشتقاق (كلمة التلبية) ومعناها اللغوي وتقلباتها الصرفية وأقوال أهل اللغة في هذا الشأن .

المطلب الثالث : وهو أوسع المطالب ذكرت فيه التلبيات التي كانت قبائل العرب تلبي بها عند حجها بيت الله الحرام (الكعبة المشرفة) ورتبتها بحسب حروف الهجاء العربية .

المطلب الرابع : بيّنت فيه تلبية التوحيد – تلبية الإسلام– الجامعة لمعاني الوحدانية المخلصة لله تعالى المخصوص بالتوحيد والعبادة والاستعانة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة : 5] .

خاتمة : بيّنت فيها مقارنة موجزة لملامح التوحيد التي تظهر على التلبية عند كل قبائل العرب ، ولكنها لا تخلو من بعض جوانب الشرك ولو بطرفٍ خفي ، وهل الإيمان إلاّ إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان.

المطلب الأول

بيان موجز لتاريخ بناء الكعبة المشرفة وبعض مناسك الحج

من عهد النبي إبراهيم (عليه السلام) إلى الإسلام

ذكر العلماء (رحمهم الله) إن أول بيت وضع على الأرض للناس لعبادة الله تعالى هو بيت الله الحرام (الكعبة) المشرفة في مدينة مكة المكرمة (شرّفها الله واعزها) ، وقد ثبت هذا القول الحكيم العليم في كتابه العزيز قال (عز وجل) ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إبراهيم وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾(1) .

روى الإمام احمد بن حنبل (رحمه الله) في مسنده(2) عن أبي ذر الغفاري(رضي الله عنه) قال : قلت : يا رسول الله : أيّ مسجد وضع في الأرض أول؟ قال : (المسجد الحرام) قلت : ثم أيّ: قال : المسجد الأقصى ، قلت كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، قلت ثم أي ؟ قال : (ثم حيث ادركت الصلاة فصلّ فكلها مسجد) .

وذكر ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره بإسناده عن علي (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ قال : (كانت البيوت قبله ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله)(3) ، وفي معنى (بكة) أقوالٌ : منها : (انها اسم من أسماء مكة ، وقيل : بل هي البيت الحرام والمسجد وما سوى ذلك مكة وقيل لان الناس يبك بعضهم بعضا في الطواف اي يزدحم ويدفع) (5).

وفي قصة بناء الكعبة ومناسك الحج : روى البخاري (رحمه الله) في صحيحه حديثاً عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: ((أول ما اتخذ الناس المنطق من قبل أُم إسماعيل ، اتخذت منطقاً ليعفى اثرها على سارة زوجة النبي إبراهيم(عليه السلام) الأولى))، ثم جاء بها إبراهيم (عليه السلام) وبابنها إسماعيل (عليه السلام) وهي ترضعه ، حتى وضعها عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذٍ احد وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ، ووضع عندهما جراباً

فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفا إبراهيم (عليه السلام) منطلقاً فتبتعه أُم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ليس فيه انيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت: الله امر بهذا؟ قال: نعم، قالت: اذن لا يضيعنا ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾(4) .

وجعلت أُم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء، عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، أو قال : – يتلبط – فانطلقت كراهية ان تنظر إليه ، فوجدت الصفا اقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : قال النبي (ﷺ) فلذلك سعى الناس بينهما.

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت (صه) ان كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه أو قال : بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) قال النبي(ﷺ) : يرحم الله ام إسماعيل لو تركت زمزم أو قال : (لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً) ، قال فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله .

حتى مرت بهم رفقة من جُرهم ، أو أهل بيت جرهم ، مقبلين من طريق كداء فنزلوا اسفل مكة ، فرأوا طائراً عائفاً ، فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين، فإذا هم

بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء فاقبلوا وأُم إسماعيل عند الماء ، فقالوا أتأذنين ان ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا : نعم .

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) قال النبي (ﷺ) : فألفى ذلك ام إسماعيل وهي تحب الأنس، فنزلوا وارسلوا إلى أهليهم ، فنزلوا معهم، وشبَ الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم وأعجبهم حين شبّ ، فلما ادرك زوجوه امرأة منهم ، وماتت ام إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته. ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه . فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل ان الله يأمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال وتعينني ؟ قال واعينك ، قال ان الله أمرني ان ابني هاهنا بيتاً ، وأشار إلى اكمة مرتفعة على ما حولها قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم)(5) ، قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ((ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم))(6) (7).

وبعد ان بنى إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) البيت امر الله سبحانه وتعالى النبي إبراهيم (عليه السلام) بالآذان بالحج ، قال تعالى ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾(8) .

وذكر المفسرون انه لما أمره ربه ان يؤذن في الناس بالحج قال : يا رب كيف ابلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقال : نادِ وعلينا البلاغ فقام إلى مقامه، وقيل على الحجر، وقيل على الصفا ، وقيل على ابي قبيس ، وقال : يا أيها الناس ان ربكم قد اتخذ بيتاً فحُجّوهُ ، فيقال: ان الجبال تواصفت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض ، وسمع من في الأرحام والأصلاب ، وأصحاب كل

شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ، ومن كتب الله انه يحج إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك(9).

قال ابن كثير (رضي الله عنه) بعد ان ذكر هذا الكلام أيضاً هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف ، وأوردها ابن جرير وابن ابي حاتم(10).

وقد مرت على البيت سنين فانهدم فبنته جرهم ، ثم انهدم فبنته قريش ورسول الله(ﷺ) يؤمئذ شاب ، وقد حكموه في رفع الحجر الأسود إلى موضعه ، ثم هدم فبناه الحجاج بن يوسف الثقفي بعد مقتل عبد الله بن الزبير سنة (73هـ) على الهيئة التي يراها الحجاج ، الآن(11) والله اعلم.

وروى القرطبي في تفسيره ، قال لما فرغ إبراهيم (عليه السلام) من بناء البيت الحرام قال: ربي قد فرغت (فأرنا مناسكنا) فبعث الله إليه جبريل (عليه السلام) فحج به ، فطاف بالبيت ثم سعى بين الصفا والمروة ، ثم وقف على عرفه ، وجاء يوم النحر عرض له إبليس ، فقال له جبريل(عليه السلام) : احصبه فحصبه بسبع حصيات ثم الغد ثم اليوم الثالث ، وأراه مناسكه في منى والمزدلفة ، وكان إبراهيم (عليه السلام) يحجه ، وحجه إسحاق وسارة من الشام وحجته الأنبياء بعد ذلك والأمم(12).

قال الطبري في تفسيره : (أول من لبى إبراهيم (عليه السلام) ، إذ قال إبراهيم لجبريل (عليهما السلام): كيف أقول: قال : قل : (لبيك اللهم لبيك)(13) واستمر الحال بهذا إلى ان غلبت قبيلة خزاعة على أهل الحرم فغيرت وأضافت كما سيأتي بيانه في المطلب الرابع ان شاء الله تعالى .

المطلب الثاني

معنى التلبية في اللغة واشتقاقها

قال ابن منظور في لسان العرب : ((لبَّ بالمكان لبّاً ، والبّ: أقام به ، ولزمه والبّ على الأمر: لزمه فلم يفارقه. وقولهم: ولبيّك ولبيّه منه ، أي : لزوماً لطاعتك))(14).واصله : ((ولبيّت : فعّلت ، من ألبَّ بالمكان ، فأبدلت الباء

ياء لأجل التضعيف. قال الخليل رحمه الله : هو من قولهم : دار فلان تلبُّ داري ، أي تحاذيها ، أي : انا مواجهك بما تحب إجابة لك))(15)، والياء للتثنية، وفيها دليل على النصب للمصدر ، كقولك: حمداً لله وشكراً(16).

قال ابن منظور : وكان حقه ان يقال : لبّاً لك ، وثني على معنى التوكيد ، أي الباباً بك بعد الباب وإقامة بعد إقامة ، وقيل : بل هي بمعنى إجابة لك بعد إجابة(17).

وقيل : كان أصلُ لبّ يك : لبب بك ، فاستثقلوا ثلاث باءات فقلبوا إحداهن ياءً ، كما قالوا تظننت من الظن(18).

وقيل : ان معنى لبيّك ولبّيه : أي : مقيم على طاعتك، ومنه قولهم(19):

إنّك لو دعوتني ودوني زوراء ذات منزع بيون لقلت لبيّه لمن يدعوني

وقولهم : لبّيك : اللبُّ : واحد ، فإن ثنيت : قلت : في الرفع : لبّان ، وفي النصب والخفض : لبّين ، وكان في الأصل : ولبّينك : أي أطعتُك مرتين ثم حذفت النون للإضافة: أي أطعتك طاعة مقيمة عندك إقامة بعد إقامة(20).

المطلب الثالث

تلبيات العرب قبل مبعث النبي (ﷺ) مرتبة حسب حروف الهجاء العربية لأسماء قبائل العرب

ذكرت في المطلب الأول موجزاً لتاريخ بناء البيت الحرام وبدء مناسك الحج الذي كتبه الله منذ عهد إبراهيم (عليه السلام) ، وانه أول من لبى بقوله (ﷺ) (لبيك اللهم لبيك)(21)، ثم توالت الأنبياء والرسل يزورون البيت الحرام ويحجون إليه ، وكذا كانت الناس من شتى بقاع الأرض ، والعرب على وجه الخصوص ، كانت قبائلهم تأتي بيت الله الحرام لتحج إليه ، وتؤدي مناسكها التي ورثتها عن النبي إبراهيم (عليه السلام) (إلاّ أنها بمرور الزمن وأيامه اختلفت أديانها لمجاورتها أهل المِلل والنحل) ولانتقالها إلى البلدان تبعاً للعيش والكلأ والماء ، فأخذت ممن جاورتهم وتأثرت بأديانهم ، وكانت قريش وعامة ولد (معد بن

عدنان) على بعض دين إبراهيم (عليه السلام) يحجون البيت ويقيمون المناسك، ولم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت ، فلما خرجت اياد ووليت خزاعة حجابة البيت غيروا ما كانوا عليه ، وخرج عمرو بن لحي الخزاعي إلى ارض الشام، وبها قوم من العمالقة يعبدون الأصنام ، واخبروه انهم يعبدونها فينتصروا بها ويستمطروا فأخذ منهم صنماً يقال له (هبل) ، فقدم به مكة، ووضعه عند الكعبة، فكان أول صنم وضع بمكة، ولما رأت العرب ذلك اتخذت أصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنماً يُصلّون إليه تقرباً إلى الله فيما يزعمون)(22)، ويلبون، وقد ذكر أبو العلاء المعري(23): ان تلبيات العرب جاءت على ثلاثة أنواع: مسجوع لا وزن له ، ومنهوك ، ومشطور .

فالمسجوع كقولهم :

لبيّك ربنا لبّيك   والخيرُ كله بيديك

والمنهوك على نوعين : احدهما من الرجز والآخر من المنسرح

فالذي من الرجز قولهم في تلبية اهل فدك:

لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك الا شريكا هو لك
تملكه وما ملك ابو بنات بفدك

ومثله ايضاً وهي تلبية قبيلة بني نمر:

لبيك يا معطي الامر   لبيك عن بني نمر   جئناك في العام الزمر
نأمل غيثاً ينهمر   يطرق بالسيل الخمر

والذي من المنسرح جنسان : احدهما في آخره ساكنان ، مثل قولهم :

لبيك رب همدانْ   من شاحط ومن دان
جئناك نبغي الإحسان   بكل حرف مذعان
نطوي إليك الغيطان   نأمل فضل الغفران

والآخر لا يجتمع فيه ساكنان ، كقولهم :

لبيك عن بجيلة   الفخمة الرحيلة

ونعمت القبيلة جاءت بالوسيلة
تؤمل الفضيلة

وربما جاؤوا به على قوافٍ مختلفة كما رووا عن بكر بن وائل قولهم

لبيك حقاً حقاً تعبداً ورقا
جئناك للنصاحة لم نأت ببرقاحة

والمشطور جنسان : احدهما عند الخليل من الرجز كقولهم في تلبية تميم :

لبيك لولا أنّ بكراً دونكا يشكرك الناس ويكفرونكا
ما زال منا عثج يأتونكا

والآخر من السريع : وهو نوعان : احدهما يلتقي فيه ساكنان كما يروون في تلبية همدان قولهم :

لبيك مع كل قبيلة لبوك همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم وانتابوك فاسمع دعاءً في جميع الاملوك

والمشطور الذي لا يجتمع فيه ساكنان كقولهم في تلبية قبيلة بني سعد:

لبيك عن سعد وعن بنيها وعن نساء خلفها تعنيها

قال أبو العلاء المعري : والموزون من التلبية يجب ان يكون كله من الرجز عند العرب ولم تأت التلبية بالقصيد ، وربما لبّوا ولم تنقله الرواة(24) .

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كانت تلبية أهل الجاهلية في حجهم مختلفة ، فإذا أرادوا – حج البيت الحرام – وقفت كل قبيلة عند صنمها وصلوا عنده ، ثم تلبّوا حتى يقدموا مكة(25).

وفيما يأتي تلبيات قبائل العرب مرتبة بحسب حروف الهجاء العربية :

الأولى : تلبية قبيلة الأزد(26) :

يا ربّ لولا انت ما سعينا بين الصفا والمروتين فينا
ولا تصدقنا ولا صلينا ولا حللنا مع قريش اينا
البيت بيت الله ما حيينا والله لولا الله ما اهتدينا
نحج البيت ما بقينا

الثانية : تلبية قبيلة بني أسد(27):

لبيك اللهم لبيك . ربنا أقبلت بنو أسد . أهل الوفاء والنوال والجلد
فينا الندى والذرى والعدد . والمال والبنون فينا والولد
الواحد القهار والرب الصمد لا نعبد الأصنام حتى تجتهد لربها وتعتبد
لحجها لها الدما وحجها حتى ترد

الثالثة : تلبية الأوس والخزرج(28) :

لبيك جئنا مع المعاشر نسير سير العجل المبادر

نزور بيتاً لكم ذا المشاعر

الرابعة : تلبية الأشعريين(29) :

اللهم هذا واحد إنْ تما اتمه الله وقد اتما
ان تغفر اللهم تغفر جمّا وأيُّ عبدٍ لك لا الما

الخامسة : تلبية قبيلة بجيلة(30):

لبيك اللهم لبيك . لبيك عن بجيلة . ذي بارق مخيلة
بنية الفضيلة . فنعمت القبيلة حتى ترى طائفة بكعبة جليلة

وذكر أبو العلاء المعري في رسالة الغفران 286/1 تلبيتهم وقد مرت في أنواع وأوزان التلبية.

السادسة : تلبية قبيلة بكر بن وائل من ربيعة(31) :

لبيك حقاً حقاً تعبداً ورقا
أتيناك للمياحة ولم نأت للرقاحة

ومعنى المياحة : العطية ، والرقاحة : التجارة والكسب .

السابعة : تلبية قبيلة تميم(32) :

لبيك اللهم لبيك . عن تميم قد تراها . وقد اخلقت أثوابها وأثواب من وراءها
وأخلصت لربها دعاءها

الثامنة : تلبية قبيلة ثقيف(33):

لبيك اللهم لبيك . هذه ثقيفا قد أتوك . وخلفوا أوثانهم وعظموك
وقد عظموا المال وقد رجوك . عزاهم واللات في يديك
دانت لك الأصنام تعظيماً إليك . قد أذعنت بسلمها إليك
فاغفر فطالما غفرت

التاسعة : تلبية قبيلة حمير(34) :

لبيك اللهم لبيك . عن الملوك الأقوال . ذوي النهى والأحلام
والواصلين الأرحام . لا يقربون الآثام . تنزها وإسلام
ذلوا لرب كرام

العاشرة : تلبية قبيلة خُزاعة(35) :

لبيك نحن أهل الوادي وبيتك المستور بالابراد
خزاعة ذو العدد والعداد إليك تأتي عصب الوراد
فنحن بين حاضر وباد

الحادية عشرة : تلبية من لبى من قبيلة ربيعة من غير بكر بن وائل(36):

لبيك اللهم لبيك . لبيك عن ربيعة . سامعة لربها مطيعة
لرب ما يعبد في كنيسة وبيعه ورب كل واصل او مظهر قطيعة

الثانية عشرة :تلبية من لبى من قبيلة زبيد(37):

قال عمرو بن معد كرب الزبيدي (﵁) : لقد رأيتنا منذ حديث او قريب، ونحن اذا احرمنا قلنا :

لبيك تعظيماً إليك عذراً هذه زبيد قد اتتك قصرا
تعدو لها مضمرات شذرا يقطعن خبتاً وجبالا وعرا

قد تركوا الاوثان خلوا صفراً

الثالثة عشر : تلبية قبيلة علكّ ومذحج(38) جميعاً

حيث يخرج رجل من عك ورجل من مذحج فيقولان :

يا مكة الفاجر مُكي مكا   ولا تمكي مذحجاً وعكا
فيترك البيت الحرام دكا   جئنا إلى ربك لا نشكا

الرابعة عشرة : تلبية قبيلة غسان(39):

لبيك رب غسان   راجلها والفرسان

الخامسة عشرة : تلبية قبيلة قضاعة(40):

لبيك عن قضاعة لربها   دفاعة ، سمعاً وطاعة

السادسة عشرة : تلبية قبيلة قيس عيلان(41):

لبيك اللهم لبيك .   أنت الرحمن . أتتك قيس عيلان
رجالها والركبان بشيخها والولدان . مذللة للديان

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق : ان تلبية قيس ومن والاها . وكان بينها وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة حرب في الجاهلية فكانوا لا يستطيعون دخول مكة متفرقين فكانوا يقولون(42) .

والله لولا أنّ بكراً دونكا   يُبرك الناس ويفجرونكا
ما زال منّا عثجّ يأتونكا

وقد مرت هذه التلبية في بيان أنواع وأوزان التلبية ، وذكرها الرواة لقبيلة تميم وهي من النوع المشطور ، كما ورد في رواية أبو العلاء المعري في رسالة الغفران 286/1 .

السابعة عشرة : تلبية قبيلة كنانة(43) :

لبيك اللهم لبيك . يوم التعريف . يوم الدعاء والوقوف
وذي الصباح الدما من ثجها والنزيف

الثامنة عشرة : تلبية قبيلة كندة(44) :

لبيك ما ارسى ثبير وحده   وما أقام البحر فوق جده
وما سقى صوب الغمام زبده
ان التي تدعوك حقاً كندة   في رجبٍ وقد شهدنا جهده
لله نرجو نفعه ورفده

التاسعة عشرة :تلبية قبيلة مذجح(45):

إليك يا رب الحلال والحرم   والحجر الأسود والشهر الأصم
على قلاصٍ كحنيات النشم   جئناك ندعوك بماءٍ ولمم
نكابد العصر وليلاً مدلهم   نقطع من بين جبال وسلم
وهول رعد وبروق كالصرم   والعيس يحملن حلالاً وكرم

العشرون : تلبية من لبى من قبيلة نزار ومضر(46) ، وقد نسبها (محمد بن حبيب صاحب المحبر)(47) للأنصار (رضي الله عنهم) .

لبيك حقاً حقاً   تعبداً ورقا
جئناك للنصاحة   لم نأت للرقاحة

الحادية والعشرون : تلبية قبيلة النخع(48) :

لبيك رب الأرض والسماء   وخالق الخلق ومجزي الماء
معصب بالمجد والسناء   لعائش فضائل النعماء
في العالمين وجميع بفدية الآباء والأبناء

الثانية والعشرون : تلبية قبيلة هذيل(49) :

لبيك اللهم لبيك . لبيك عن هذيل . قد أدلجت بليل
تعدو بها ركائب ابل وخيل   خلُفت أوثانها في عرض الجبيل
وخلفوا من يحفظ الأصنام والطفيل   في جبل كأنه في عارض حُجيل
تهوي إلى رب كريم ماجد جميل

الثالثة والعشرون : تلبية قبيلة همذان(50) :

لبيك رب همذان   من شاحط ومن دان
جئناك نبغي الإحسان   بكل حرف مذعان
نطوي إليك الغيطان   نأمل فضل الغفران

وانظر أوزان وأنواع التلبيات التي ذكرها أبو العلاء المعري في بداية هذا المبحث والمطلب .

الرابعة والعشرون : تلبية بعض قبائل اليمن(51) :

وقد ذكرت بعضها في تلبية عك ومذجح

عك إليه عانية   عبادك اليمانية
كيما نحج ثانية   على قلاص ناجية
أتيناك للنصاحة   ولم نأت للرقاحة

وقد مر ذكر تلبيات اخرى لقبائل ذكرها ابو اعلاء المعري في بيان انواع وأوزان التلبيات العربية.

المطلب الرابع

تلبية الإسلام وهي تلبية رسول الله (ﷺ)

ذكر المؤرخون ان المشركين كانوا يطوفون بالكعبة سبعة أشواط ويتمسحون بالحجر الأسود ، ويسعون بين الصفا والمروة ، وقد ذكرت تلبياتهم التي كانوا يلبون بها عند البيت الحرام الا ان ابرز هذه التلبيات ما كانت تقوله قريش وهي القبيلة التي تنتسب بطونها الى النبي إسماعيل بن النبي إبراهيم (عليهما الصلاة والسلام) وتلبيتها اقرب الى ما جاء به الإسلام ولكن دخلها شرك فقد روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب التلبية وصفتها ووقتها :

عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال :(كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون:

لبيك لا شريك لك – الا شريكاً هو لك – تملكه وما ملك ، وكان رسول الله (ﷺ) عندما يسمعهم يقول : ويلكم ... قد ... قد..) فلا يستمعون إليه (ﷺ)(52) .

وقد ذكر أهل التاريخ أنّ الذي غير تلبية النبي إبراهيم (عليه السلام) هو عمرو بن لحي الخزاعي عندما غلب على مكة ، فقد قيل : (انه بينما عمرو بن لحي يسير في بعض مواسم الحج ويلبي – تلبية إبراهيم (عليه السلام) ، إذ مثل له إبليس في صورة شيخ نجدي على بعير اصهب، فسايره ، ثم لبى إبليس لبيك لا شريك لك ، فقال عمرو بن لحي مثله ، فقال إبليس : الا شريكاً هو لك ، قال

عمرو بن لحي ما هذا!! قال إبليس لعنه الله : إنّ بعد هذا ما يصلحه : الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، فقال عمرو : ما أرى بهذا باساً ، فلباها فلبى الناس على ذلك)(53).

وقد مرت بنا مقالة عمرو بن معد كرب الزبيدي (رضي الله عنه) التي ذكر فيها كيف كانت قبيلة زبيد تلبي ثم ذكر ما أمر به رسول الله (ﷺ) من تلبية الإسلام ، وتلبية الإسلام هي تلبية وشعار التوحيد كما سماها الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي اله عنهما) حين قال: (أهل رسول الله (ﷺ) بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك لا شريك لك)(54) .

وتلبية الإسلام التي امر بها رسول الله (ﷺ) رواها الإمام البخاري(55) في صحيحه ومسلم في صحيحه(56) : عن نافع عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) ان تلبية رسول الله(ﷺ) : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

قالوا : وكان عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) يقول : (هذه تلبية رسول الله(ﷺ). وانت تلاحظ ان الحديث متفق عليه . وقد روى هذا الحديث أيضاً الإمام الترمذي(57) وأبو داود(58) والنسائي في سننه(59)وابن ماجه في سننه(60)، والإمام مالك في الموطأ(61).

وفي فضائل التلبية ورفع الصوت فيها رويت احاديث عدة منها ما روى الإمام الترمذي في سننه عن خلاد بن السائب بن خلاد عن أبيه قال : قال رسول الله (ﷺ) : أتاني جبريل فأمرني أنْ أمر أصحابي ان يرفعوا أصواتهم بالإهلال والتلبية(62).

الخاتمة :

فهذا بحث متواضع يخص الروايات التفسيرية والحديثية والشعرية لتلبيات العرب قبل الإسلام وبعده وبعض مناسك الحج قبل الإسلام وملخص

لتاريخ بناء البيت الحرام وكيف سكن إسماعيل(عليه السلام) وامه مكة المكرمة ، وقد توصلت في هذا البحث البسيط إلى ما يأتي:

1. إن من رفع قواعد بيت الله تعالى النبي إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) بأمر من الله سبحانه وتعالى وانه هدم مرات ثم أعيد بناؤه مرات عدة .
2. إن أول من لبى تلبية التوحيد النبي إبراهيم (عليه السلام) علمّه إياها الملك جبريل(عليه السلام) وان الأمم جميعهم كانوا يزورون البيت الحرام ويحجون إليه.
3. ان التلبية بتوحيد الله (لبيك اللهم لبيك) استمر حيناً من الدهر حتى غيره حاكم مكة عمرو بن لحي الخزاعي وادخل الأصنام فيها ، فدخل الشرك بالله في عهده وما تلاه .
4. إن العرب يلبون بتوحيد الله عند طوافهم حول الكعبة ولكنهم يقسمون بأصنامهم ويتبركون بها قبل طوافهم بيت الله الحرام ، وهذا هو شركهم لانهم يعتقدون بنفع هذه الأصنام وتقربهم إلى الله زلفى وهي عقيدة باطلة .
5. إن تلبياتهم مختلفة تمجد قبائلهم وتعتز بأصولها ويفخرون على ما سواهم من القبائل فهم مختلفون في التلبيات ، مختلفون في عبادة أصنام شتى .
6. إن الإسلام دين التوحيد قد جمع الأمم المسلمة على تلبية واحدة ، هي تلبية التوحيد (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) .

إن هذه التلبية تتضمن معاني عقيدة الإسلام من إخلاص العبادة لله تعالى والإقرار بالله إلهاً واحداً أو رباً واحداً معبوداً لا شريك له ولقائلها ومعتقدها من الحسنات الشيء الكثير .

هوامش ومصادر البحث

(1) سورة آل عمران ، الآية 96-97 . ينظر : تفسير ابن أبي حاتم الرازي (عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت323هـ) : 85/3 ، تحقيق اسعد محمد الطيب ، نشر المكتبة العصرية ، لبنان، صيدا، بلا ت .

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام احمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ) المكون من (50) جزء، تحقيق : شعيب الارناؤوط وآخرون طبع مؤسسة الرسالة ، ط2 ، (1420هـ/1999م) ، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي 85/3 و 90/3 .

(3) تفسير ابن أبي حاتم الرازي :85/3 ، 90/3 ، وقد صحح الحافظ ابن حجر العسقلاني إسناد هذا الحديث

(4) سورة إبراهيم : الآية 37 .

(5) سورة البقرة : الآية 127 .

(6) سورة البقرة : الآية 127-128 .

(7) صحيح الإمام البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت256هـ) كتاب الأنبياء باب 10 قوله تعالى (يزفون) الصافات /94 ، الحديث 3364 ، مجلد واحد ، طبعة مصححة ، نشر دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، (1422هـ/2001م) .

(8) سورة الحج : الآية 27 و 28 . وينظر : تفسير التحرير والتنوير : 244/2 .

(9) المصادر السابقة نفسها .

(10) تفسير ابن كثير : 264/3 .

(11) المصادر السابقة نفسه .

(12) تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن : 128/2 و 130 للامام محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي الانصاري (ت671هـ) ، طبع دار التراث العربي (1405هـ/1985م) .

(13) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) 606/18 للامام محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) ، تح : احمد محمد شاكر ، طبع مؤسسة الرسالة ، ط1 ، (1420هـ/2000م) .

(14) الصحاح للجوهري : 328/7 ، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ) ، تح : محمد زكريا يوسف ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 ، 1990م . ولسان العرب : 730/1 لابن منظور محمد بن مكرم الافريقي (ت711هـ) ، نشر دار صادر ، بيروت ، 1968م.

(15)مختار الصحاح : 589 مادة لبيب .

(16) الصحاح للجوهري : 328/7 ، ومختار الصحاح : 589 مادة لبيب .

(17) لسان العرب لابن منظور : 730/1 مادة لبيب .

(18) المصدر السابق نفسه .

(19) الصحاح للجوهري : 327/7 ، ومختار الصحاح /589 . ولسان العرب 730/1 مادة لبيب .

(20) المصادر السابقة نفسها .

(21) تفسير التحرير والتنوير : 244/20 .

(22) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : 286/1 ، تأليف الدكتور جواد طاهر العلي نشر، دار الساقي ، ط4 ، (1422هـ/2001م) .

(23) رسالة الغفران لابي العلاء المعري (احمد بن عبد الله (ت449هـ) ، ص535 ، تح : د. عائشة عبد الرحمن ، طبع دار المعارف بمصر ، 1969م .

(24) المصدر السابق نفسه .

(25) تفسير ابن أبي حاتم الرازي : 74/7 .

(26) تاريخ اليعقوبي : 255/1 ، تأليف احمد بن يعقوب (ت292هـ) ، بيروت ، لبنان ، 1960م .

(27) تاريخ اليعقوبي : 255/1 ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : 376/6 .

(28) تاريخ دمشق : 101/53 .

(29) لسان العرب لابن منظور ، مادة جمم .

(30) رسالة الغفران لابي العلاء المعري : 536 وتاريخ اليعقوبي : 256/1 .

(31) غريب الحديث للخطابي : 226/2 ، الإمام احمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت388هـ) ، تح: عبد الكريم بن إبراهيم الغرباوي ، مكة المكرمة (1402هـ).

(32) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : 284/9 .

(33) جمهرة انساب العرب : 438 ، وتاريخ اليعقوبي : 250/1 .

(34) تاريخ اليعقوبي : 256/1 ، وكتاب الأزمنة لابي علي المستنير قطرب، تح: د. حاتم الضامن ، مجلة المورد ، م13 ، ع 3 ، ص143 لسنة 1984 .

(35) تاريخ اليعقوبي : 255/1 .

(36) غريب الحديث للخطابي : 226/2 والأزمنة لقطرب ، نشر مجلة المورد ، م13 ، ع3، 1984، ص143 .

(37) الأسامي الكنى لابي احمد الحاكم ، محمد بن محمد بن إسحاق : 10/2 ، تح : يوسف محمد الدخيل ، بلا ت ، لا ط .

(38) معجم البلدان : 182/5 ، تأليف ياقوت الحموي بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ) ، طبع دار صادر ، بيروت ، 1968م .

(39) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : 286/1 .

(40) تاريخ اليعقوبي :256/1 ، وجمهرة انساب العرب : 438 .

(41) تاريخ اليعقوبي : 255/1 ، والمفصل في تاريخ العرب : 461/7 .

(42) تاريخ دمشق : 501/19 . وينظر تلبية بني تميم رقم (7) وهامش 37 .

(43) تاريخ اليعقوبي : 255/1 ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : 376/6 .

(44) كتاب الأزمنة للمستنير قطرب ، مجلة المورد ، م13 ، ع3 ، ص145 ، 1984 .

(45) كتاب الأصنام للكلبي : 7 ، تأليف هشام بن محمد الكلبي (ت204هـ) ، تح : احمد زكي، طبع دار الكتاب العلمية ، 1924م .

(46) غريب الحديث للخطابي : 227/2 ، وتاريخ دمشق : 501/19 .

(47) المحبر (محمد حبيب (ت245هـ) 3/2 وقد ذكرت تلبية لبكر بن وائل فيها ما يشبه هذه وينظر تلبية (6) وهامش 37 .

(48) رسالة الغفران : 536 ، وتاريخ اليعقوبي : 256/1 ، وكتاب الأزمنة لقطرب ، مجلة المورد ، م13 ، ع3 ، ص145 ، 1984م .

(49) المصادر السابقة نفسها .

(50) رسالة الغفران : 537 .

(51) غريب الحديث للخطابي : 228/2 . ينظر : تلبية عك ومذحج ونزار ومضر .

(52) صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت261هـ) ك الحج ، باب التلبية وصفتها ووقتها الحديث 1185 ، نشر دار إحياء التراث العربي ، مطلعة مصححة ، مجلد واحد ، ط1 ، (1420هـ/2000م) .

(53) أخبار مكة ، وما جاء فيها من الآثار 154/1 والمفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام : 461/7 .

(54) الحديث رواه ابن أبي شيبة في المصنف : 284/4 ، ج115 ، ومسند الإمام الشافعي محمد بن إدريس (رحمه الله) (ت204هـ) : ص122 ، ح568 ، تح : مهند محمد اللحام ، 1996 ، دار الفكر.

(55) صحيح الإمام البخاري ك الحج باب 26 ، التلبية ح 1549 و 1550 .

(56) صحيح الإمام مسلم بن الحجاج ك الحج باب التلبية وصفتها وقتها ، ح1184 .

(57) سنن الترمذي ك الحجم باب 13 ، ما جاء في التلبية ح 827 لابي عيسى محمد بن سورة الترمذي (ت279هـ) مجلد واحد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، (1421هـ/2000م) .

(58) سنن أبي داود ، المناسك باب 21 ، كيف التلبية ، ح1809 و 1811 لسليمان بن الأشعث الازدي السجستاني (ت257هـ) ، مجلد واحد ، ضبطه وصححه محمد عدنان بن ياسين ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، (1421هـ/2000م) .

(59) سنن النسائي في مناسك الحج باب 54 كيف التلبية 2746و 2747 لأحمد بن شعيب النسائي (ت303هـ) بشرح السيوطي (ت911هـ) ، مجلد واحد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ن 1421هـ/2000م) .

(60) سنن ابن ماجه ك المناسك باب 16 ، رفع الصوت في التلبية ، ح2922 .

(61) موطأ الإمام مالك ، رواية محمد بن الحسن الشيباني ك الحج باب 1 رفع الصوت في الإهلال ح/37 ، تحقيق تقي الدين الندوي ، نشر دار القلم ، دمشق ، ط1، 1413هـ/1997م .

(62) سنن الترمذي ك الحج باب 15 رفع الصوت في التلبية ، ح829 ، وقال الترمذي عنه هذا حديث حسن صحيح.